# المثل الشعبي الجزائري في رواية (خويا دحمان) لمرزاق بقطاش

أ . نعيمة بن علية*

المثل الشعبي تصوير لحياة زاخرة بالخبرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية ، يمتاز بالعمق في طرحه للقضايا المختلفة ، وبتفسيره لما يحدث في المجتمع . وهو يحمل خصوصيات الأمم فيأتي مناسبا للبيئة التي أنتجته ، مصوّرا التجارب من خلال الكلمة الدالة والهادفة . . المعبّرة عن وجدان الأفراد والجماعات . كما أنه جزء من التراث الشعبي الذي يعد من المصادر الهامة التي وظّفها الأدباء في أعمالهم الإبداعية .

ويستلهم الروائي مرزاق بقطاش[1] المثل الشعبي الجزائري في روايته « خويا دحمان» التي تعرض فترات حاسمة في حياة المجتمع الجزائري ، وفي تاريخه السياسي المعاصر بتناقضاته المختلفة ، إذ يسخره لخدمة الواقع الروائي ، ويجعله جزءا من البناء الدرامي ، فيعكس من خلاله رؤاه ونظرته للأوضاع السياسية/التاريخية ، والاجتماعية المختلفة ، وهو ما يجعله فضاء للتعبير عن آرائه . كما أنه يثبت من خلاله أصالة شخصياته ، وانتماءها إلى البيئة المحلية[2] .

---

* المركز الجامعي العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة.

(1) مرزاق بقطاش قاص وروائي جزائري ، من مواليد 1945 بالجزائر العاصمة . مارس العمل الصحفي ، وتقلد مناصب في مجالس وطنية مختلفة منها: المجلس الوطني الاستشاري . من مؤلفاته الإبداعية: طيور في الظهيرة ، البزاة ، عزوز الكابران ، كوزة ، جراد البحر ، دم الغزال . إضافة إلى العديد من المقالات النقدية الأدبية . نقل إلى العربية مؤلفات منها: ألف وعام من الحنين ، والفائز بالكأس لرشيد بوجدرة .
ينظر: رابح خدوسي ، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ، دار الحضارة ، بئر التوتة الجزائر ، 2003 ، ص 88 .

(2) ينظر: الطاهر بلحيا ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين ، الجاحظية ، الجزائر ، 2000 ، ص 20 .

و لغة المثل الشعبي في رواية «خويا دحمان» مزيج من العربية الفصحى واللهجة العامية المحلية ، التي طوعها «مرزاق بقطاش» لتنسجم مع لغة النص الروائي بشكل عام ، دون أن تفقد خصوصيتها وتميّزها . ومع ذلك ، فالأصل في المثل أن يظل محافظا على صياغته الأصلية التي نطق بها أول مرة ، كيفما كانت هذه الصياغة التي لا يلحقها التصريف والتغيير[1] ذلك أن المثل في طبيعته هو وليد حادثة معينة وقعت في مجتمع ما في زمن ما ، وسياق لغته لا يغير أبدا ولو كان ملحونا[2] .

و قد وردت الأمثال الشعبية في هذه الرواية على لسان السارد الذي لا يتوقف عن مخاطبة «دحمان» الشخصية المحورية في الرواية ، والذي يؤدي دور المستمع أو المتلقي للخطاب فتتجلى وظيفته في الاستماع لما حدث في الزمن الماضي ، أو لما يحدث في الزمن الحاضر . يقول السارد: «إيه يا خويا دحمان ، أنت لا تتعب من البحر أبدا . عندما تستقبل يوما جديدا ، تشعر بالحاجة إلى أن تنزل صوب زرقته الطاغية لتقول: صباح الخير يا سيدي بحرون . كيف حالك اليوم ؟ ما الفرق إذن بينك وبين حبة من المحار أو قوقعة من القواقع البحرية ؟»[3] .

و هي تقنية تشي بمناجاة نفسية يبوح فيها دحمان بمكنوناته ، وهو ما يتطلب استعادة الزمن الماضي في اللحظة الحاضرة[4] فتتتابع الأحداث في سيرورة متواصلة ، وترصد معالم التغير السياسي ـ التاريخي ، ومخلفاته الاجتماعية والاقتصادية ، مما يخرج النص من نطاق الفردانية الضيقة إلى عالم الجماعة بأكمله .

فدحمان ـ ابن حي القصبة العريق بالجزائر العاصمة ـ هو رمز لجيل

(1) ينظر: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المزهر في اللغة وأنواعها ، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور ، المجلد الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 ، ص375 .

(2) ينظر: عبد الملك مرتاض ، الأمثال الشعبية الجزائرية ـ تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية ـ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 ، ص92 .

(3) مرزاق بقطاش ، خويا دحمان ، دار القصبة للنشر ، حيدرة ، الجزائر ، 2000 ، ص3

(4) يعرف ذلك بالمونتاج الزماني حيث تظل الشخصية ثابتة في المكان بينما يتحرك وعيها في الزمان ، وهي تقنية عرف بها كتاب رواية تيار الوعي الذين يحاولون عرض حياة كاملة من خلال اللحظة الحاضرة بالاعتماد على الذاكرة ، ويقابلها المونتاج المكاني . ينظر: روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ترجمة: محمود الربيعي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ص94 ، 95 .

عايش أحداث الثورة التحريرية الكبرى ، وكان شاهدا على انتصاراتها . قضى حياته مكافحا في سبيل لقمة العيش ، فكان البحر بالنسبة إليه مصدرا للرزق بالدرجة الأولى ، حيث كان يعيش على زورق صيد صغير . يقول السارد: « البحر في ناظريك ليس أزرق بل هو أسمر بلون الخبز . أجل ، إنه أسمر بلون الخبز ، والسبب في ذلك كله هو أن الخبز الذي تنتزعه انتزاعا موجود في البحر ليس إلا »(1).

و يشكّل البحر محورا تدور حوله معظم أحداث الرواية ، وتنفتح رمزيته على تأويلات عدة ، فهو الحياة والموت معا؛ هو الذي حرم دحمان من والده الذي قضى حياته عاملا على متن السفن ، متنقلا بين موانئ الدنيا المختلفة إلى أن امّحى أثره إلى الأبد في نواحي أسبانيا .

و هو الحرية أيضا ، والفضاء المفتوح على عالم ما وراء البحر الذي يمثل مركز جذب يغري شخصيات الرواية بالرحيل ، والتخلص من قبضة الأوضاع الخانقة عبر المراحل التاريخية المختلفة . فوالد دحمان كان مغرما بالسفر والانطلاق ، جانحا إلى التغيير والتجديد حتى لقب بالزاوش أي الطائر(2) . أما دحمان فقد وجد في مرحلة كان فيها مسح الأحذية الحرفة السائدة آنذاك ، لكنه شمخ بأنفه وجعل من البحر مصدرا للعيش الكريم . وهو بالنسبة إلى ابنه محمد الجسر الذي قاده لمواصلة دراسته في الخارج ، والعودة من جديد عبره .

فالرواية تصور ثلاثة أجيال مختلفة ، يجمعها التشتت والحرمان وعدم الاستقرار ، بدءا من الاحتلال الفرنسي وحرب التحرير الوطنية ، مرورا بالصراعات السياسية خلال السنوات الأولى للاستقلال ، والأحداث العنيفة التي هزت البلاد في الخامس من أكتوبر 1988 ، وصولا إلى تسعينيات التقاتل والدم .

و في كل ذلك يأتي المثل الشعبي الجزائري ، ليمنح النص خصوصيته من خلال تصويره لتجارب إنسانية مختلفة ، فتختلف الأمثال الواردة في النص باختلاف التجارب ، وتتنوع دلالاتها بتنوع السياق الذي توجد فيه ، إلا أنها تسهم جميعها في تعميق الحدث وبلورة الموضوع العام .

(1) الرواية ، ص 10 .
(2) ينظر: الرواية ، ص 17 .

فالبحر الـذي يهـيمن علـى أمكنـة الروايـة ، هـو بالنسـبة إلى دحمـان بالذات الفضاء الذي لا يمـل مـن التحليـق في أجوائـه ، إذ أن العلاقـة بينهمـا علاقة حميمة جدا ولهذا فهو يقضي وقتا طويلا في الاهتمام بزورقه ، وأدوات صيده التي رافقته سنوات عدة . فهذه الأشياء هي التي تشـكل عالمـه ، وتمـلأ عليه دنياه ، خاصة بعد سفر ابنه الوحيد إلى فرنسا ، وهذا ما كان يزعج أختـه حنيفة التي ترى أنه من الأفضل له الاهتمام بـأمور أخـرى ، إذ ظلـت تطـارده بفكرة الزواج من جديد ، لكنها لم تفلح في إقناعه ومع ذلك فهي لا تتوقـف عن لومه كلما رأته يرقّع صناجته . ويعلق السارد على ذلـك بالمثـل الشـعبي القائل: « أنت في واد ، وهي في واد آخـر »[1] . فـلا أحـد منهمـا يحـاول أن يفهم الآخر . هي تريده أن يهتم بنفسه وينتبه لحياته ، وهو يرى أن البحر هو حياته الحقيقية . ويضرب هـذا المثـل للدلالـة علـى الاخـتلاف[2] . ويكمـن الاختلاف هنا في الأفكار والغايات ، وفي وجهات النظر .

و قد تنوعت الموضوعات التي حملتهـا الأمثـال الشـعبية الجزائريـة الواردة في النص ، ويمكن أن ندرجها كالآتي:

### 1) عدم التسرع:

و تمثله صيغة المثل: « كل شيء في وقته[3]

فلقد كان دحمان متشوقا للنزول إلى البحر ، فراح يسرع في ترقيـع صناجته لكن الخيوط تشابكت بين يديه وأرهقه ذلك ، فترك كل شـيء إلى الغد ، وخلد إلى الراحة مقتنعا أن التسرع لا يجدي نفعا .

### 2) التعبير عن العجز:

و صيغة المثل المعبر عن ذلك: « الله غالب »[4]

و هي عبارة شائعة في المجتمع الجزائري ، وأصلها « الله غالـب يـا الطالب » . والطالب هنا يعني المتسول الذي يطلب صدقة من فاقـد المـال ، فيضرب هذا المثل للتعبير عن العجـز في تحقيـق مـا يريـده السـائل »[5] .

---

(1) الرواية ، ص 10 .
(2) ينظر: الطاهر بلحيا ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، ص 36 .
(3) الرواية ، ص 23 .
(4) الرواية ، ص 38 .
(5) ينظر: رابح خدوسي ، موسوعة الأمثـال الجزائريـة ، دار الحضـارة ، بئـر التوتـة ، الجزائـر بـدون

وورد في الرواية عندما قرر دحمان شراء زورق يقيه شر الفقر ، ولأن وضعه المادي لم يسمح بذلك في ظل ظروف استعمارية سيئة ، لم يكن أمامه سوى اللجوء إلى القمار .

كما ورد في موضع آخر[1] . للتعبير عن عجز المجتمع الجزائري كله حيال الأوضاع السياسية المتردية التي عرفتها الجزائر في السنوات الأولى للاستقلال وما كان على الشعب إلا أن يلزم الصمت ، ويرضخ لأوامر المتحكمين بمصير الجزائر .

**3) الحظ:**

« حظك يكسر الحجر »[2]

حيث كان الحظ إلى جانب دحمان حينما استدعي لأداء الخدمة العسكرية أيام الاحتلال الفرنسي وبالتحديد سنة 1950 ، إذ أصيب بزكام حاد ، جعل طبيب الثكنة يعفيه من أدائها ، وما كان له بذلك أن يخون مبادئه وأفكاره بانضمامه إلى الجيش الفرنسي .

**4) الجمع بين هدفين في الوقت ذاته:**

و عبّر عنه بالمثل القائل: « حجة وفرجة »[3] . وقد يرد بصيغة « حج وحاجة » في الأوساط الشعبية الجزائرية ، ويقصد به ضرب عصفورين بحجر واحد ، كالذهاب إلى الحج وقضاء مصالح أخرى[4] . أي الجمع بين الروحي والمادي ، وقد ذكر في الرواية عند الحديث عن أولئك الذين ذهبوا لأداء الخدمة العسكرية عام 1950 حيث تم إرسالهم إلى كوريا الجنوبية ضمن قوات الأمم المتحدة ، فاكتسبوا الخبرة العسكرية ، وتفتّح وعيهم على الكثير من القضايا السياسية ، إضافة إلى عودتهم سالمين .

**5) عدم توقع عواقب أمر ما:**

« أنت تقرأ حسابا وإذا بحساب مغاير يظهر أمامك »[5]دما اقتنى

---

تاريخ ، ص 17 .
(1) ينظر: الرواية ، ص 108 .
(2) الرواية ، ص 55 .
(3) الرواية ، ص 55 .
(4) ينظر: رابح خدوسي ، موسوعة الأمثال الجزائرية ، ص 53 .
(5) الرواية ، ص 68 .

دحمان زورقه لم يكن يفكر سوى في الحصول على الرزق ولكنه استغله فيما بعد لإخفاء أسلحة تخص المجاهدين الجزائريين .

**6) أخذ كل شيء في الحسبان:**

« لا تحب أن تحسب وحدك »[1]

إذ أن دحمان لايقدم على فعل ، إلا إذا أدخل كل من حوله في الحسبان وخاصة أخته حنيفة ، وابنه .

**7) الأمل:**

و يرد في صيغة: « الله لا يضيّع خلقه »[2] . ونجد له صيغة شائعة في المجتمع الجزائري هي: « اللي خلق ما يضيّع » للحث على عدم القنوط واليأس من رحمة الله . فقد توفيت مريم زوجة دحمان وهي تضع مولودها ، لكنه لم يعش محروما من الحنان لأن عمته حنيفة تكفلت بتربيته ، وكانت له الأم الحنون .

**8) عدم الاقتناع بآراء الآخرين وتجاهلها:**

« لمن تقرأ زبورك يا خويا دحمان »

و قد ورد في موضعين مختلفين من الرواية[3] . وهو في الأصل: « لمن تقرأ زبورك يا داود » والزبور هي صحف سيدنا داوود عليه السلام . ويضرب هذا المثل للدلالة على عدم اقتناع الآخرين بما تقوله أو تعتقده ، فورد في الرواية ـ في المرة الأولى ـ عندما اقتيد دحمان إلى السجن أيام الاحتلال لأنه لم يقف وقفة الاحترام المطلوبة أمام التوابيت التي كانت تحمل جثث العساكر الفرنسيين ، والتي شحنت على متن إحدى السفن لتنقل إلى وطنها ، ولم يفلح في إقناعهم بحسن نيته فقضى عاما كاملا في السجن بسبب ذلك .

و ورد في الموضع الثاني في تعليق دحمان على أحداث أكتوبر 1988 التي قادها الشباب سخطا على الأوضاع السياسية والاقتصادية ، من أجل رفع المذلة والهوان ، وتصحيح الأخطاء بأشكالها المختلفة ، ولكن

(1) الرواية ، ص 68 .
(2) الرواية ، ص 68 .
(3) ينظر: الرواية ، ص70 ، وص 144 .

النتيجة برغم ذلك لم تكن مرضية .

**9) الصبر:**

« الضيق موجود في قلب الإنسان وليس في دنيا الله »[1] . وبصيغة أخرى « الضيق في القلوب[2] مقصود من المثل هو أن فسحة المودة أرحب من المكان وإن وجد تضايق ما ، فإن مصدره القلب ولا علاقة لضيق المكان بذلك[3]. وقد حافظ الروائي على هذا المعنى للتعبير عن شعور دحمان بضيق حي القصبة الذي لم يكن يشعر به إلا حين عودته من سفر طويل في عرض البحر أيام تعطل زورقه واضطراره للعمل على متن السفن المتنقلة عبر الدول . ولكنه يخرج عن هذا المعنى عند حديثه عن خروج دحمان من السجن الذي قضى فيه سنة كاملة ، إذ وجد نفسه معدما ، وكان محرك زورقه قد تلف مما جعل الدنيا تضيق في نظره فما كان من أخته حنيفة إلا أن تحثه على الصبر ، وانتظار الفرج من خلال هذا المثل: « الضيق موجود في قلب الإنسان وليس في دنيا الله » .

**10) ترك التفكير الذي قد يؤدي إلى الهلاك:**

في إطار الحديث عن الصراعات السياسية الداخلية ، وحالة الحرب الدائمة التي تعرفها الجزائر ، والتي تختلف أسبابها ومبرراتها ، يورد السارد هذا المثل: « اللي يحب يفهم بزاف ، يموت بالزعاف »[4] للدلالة على أن التفكير في بعض القضايا المصيرية المعقدة والغامضة ، قد يؤدي بك إلى الموت غما ، ولهذا فإنه من الأفضل لك تركها .

**11) إدراك المرء مكانته ، وعدم إقحام نفسه فيما لا قدرة له عليه:**

و يتجلى ذلك من خلال المثل: « عاش من عرف قدر نفسه »[5] وورد في موسوعة الأمثال الشعبية الجزائرية لرابح خدوسي كالآتي: « عاش من عرف قدره »[6] . ففي سنة 1971 اتجه دحمان إلى الصحراء بدافع وطني ليعمل رفقة الكثير من الجزائريين على مد أنابيب البترول ، لكنه لم يستطع

(1) الرواية ، ص 72 ، 73 .
(2) الرواية ، ص 149 .
(3) ينظر: رابح خدوسي ، موسوعة الأمثال الجزائرية ، ص 97 .
(4) الرواية ، ص 128 .
(5) الرواية ، ص 133 .
(6) ينظر: رابح خدوسي ، موسوعة الأمثال الجزائرية ، ص 107 .

الاستمرار لصعوبة العمل وقسوة الطبيعة ، فعاد بعد ثلاثة أشهر .

12) **عدم بلوغ المراد:**

« بلغت الوادي لكنك لم تشرب الماء »(1) .

جاء المثل تعليقا على عدم تحقق أمنية دحمان في رؤية مدينة نيويورك ، إذ وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعاد من هناك دون أن تطأها قدماه ، فظلت حلما يؤرقه .

13) **المصلحة:**

« على كرشه يخلي عرشه »(2).

و يضرب هذا المثل للدلالة على تفاني المرء في تحقيق مصالحه مهما كلفه ذلك من ثمن . ومضمونه في الرواية سياسي أتى به السارد في إطار حديثه عن اقتتال الجزائريين خلال التسعينيات بلا سبب مقنع .

و هكذا أسهم المثل الشعبي الجزائري في تعميق المضمون ، وتوليد المعاني وتجديدها ، وشحن النص بالدلالات المختلفة ، في صور مكثفة وفي سياق يناسب المتن الحكائي ، إذ طوّعه مرزاق بقطاش لخدمة الواقع الروائي حتى صار جزءا لا ينفصل عنه ، كما منح النص لمسة شعبية وقيمة جمالية وفنية . وهو ـ في الكثير من الأحيان ـ يبلور رؤية الكاتب الناقدة للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويؤكد القيم التراثية .

و أود أن أشير في الأخير إلى أن « مرزاق بقطاش » يوظف بالإضافة إلى الأمثال الشعبية مجموعة من الأقوال السائرة وهي تختلف عن الأمثال من حيث استعمالها بمعناها الحرفي ، إذ يرى الدارسون أن المثل أساسه التشبيه وما يقع في حكمه من وجهة نظر البلاغة ، فإذا ما وجدت عبارات تتفق مع المثل في الإيجاز والشيوع وصوغ العبارة ، وتختلف عنه من حيث استعمالها بمعناها الحرفي ، اعتبرت أقوالا سائرة . بالإضافة إلى أن القول السائر يقرر أمرا ما ، بخلاف المثل الذي لا ينصح ولا يقرر وإنما يصور تجربة أو موضوعا معينا(3) . ومن الأقوال السائرة الواردة في الرواية: الحرفة

(1) الرواية ، ص 139 .
(2) الرواية ، ص 144 .
(3) ينظر: عبد الحميد بورايو ، الأدب الشعبي الجزائري ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007

أمان من الفقر[1]، لكن يده ـ كما يقال ـ كانت مثقوبة[2]، لم يبق لك سوى الماء الذي يغلي[3]، لا حال يدوم[4] . . .

## قائمة المصادر والمراجع:


**المصدر:**

مرزاق بقطاش ، خويا دحمان ، دارالقصبة للنشر ، حيدرة ، الجزائر ، 2000 .

**المراجع العربية:**

1) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المزهر في اللغة وأنواعها ، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: فؤاد علي منصور ، المجلد الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 .

2) رابح خدوسي:

ـ موسوعة الأمثال الجزائرية ، دار الحضارة ، بئر التوتة ، الجزائر ، بدون تاريخ .

_ موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين ، دار الحضارة ، بئر التوتة ، 2003 .

4) الطاهر بلحيا ، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية ، منشورات التبيين ، الجاحظية ، الجزائر ، 2000 .

5) عبد الحميد بن هدوقة ، أمثال جزائرية(أمثال متداولة في منطقة الحمراء ولاية برج بوعريريج) ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 1993 .

6) عبد الحميد بورايو ، الأدب الشعبي الجزائري ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2007 .

7) عبد الملك مرتاض ، الأمثال الشعبية الجزائرية ــ تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية ـ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007 .

**المراجع المترجمة:**

8 ـ روبرت همفري ، تيار الوعي في الرواية الحديثة ، ترجمة: محمود الربيعي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 .


---

ص67 ، 68 . (وقد تطرق إلى هذا التمييز أيضا الكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة في مقدمة مصنفه للأمثال الجزائرية ، حيث شمل هذا التمييز كلا من الحكمة ، والمثل ، والقول السائر . ينظر: عبد الحميد بن هدوقة ، أمثال جزائرية(أمثال متداولة في منطقة الحمراء ولاية برج بوعريريج) المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 1993 ، ص12 ، 13 .

(1) الرواية ، ص 34 .

(2) الرواية ، ص 20 .

(3) الرواية ، ص 60 .

(4) الرواية ، ص 134 .